تاريخ الكويت الحديث

١١٦٣-١٣٨٥هـ
١٧٥٠-١٩٦٥م

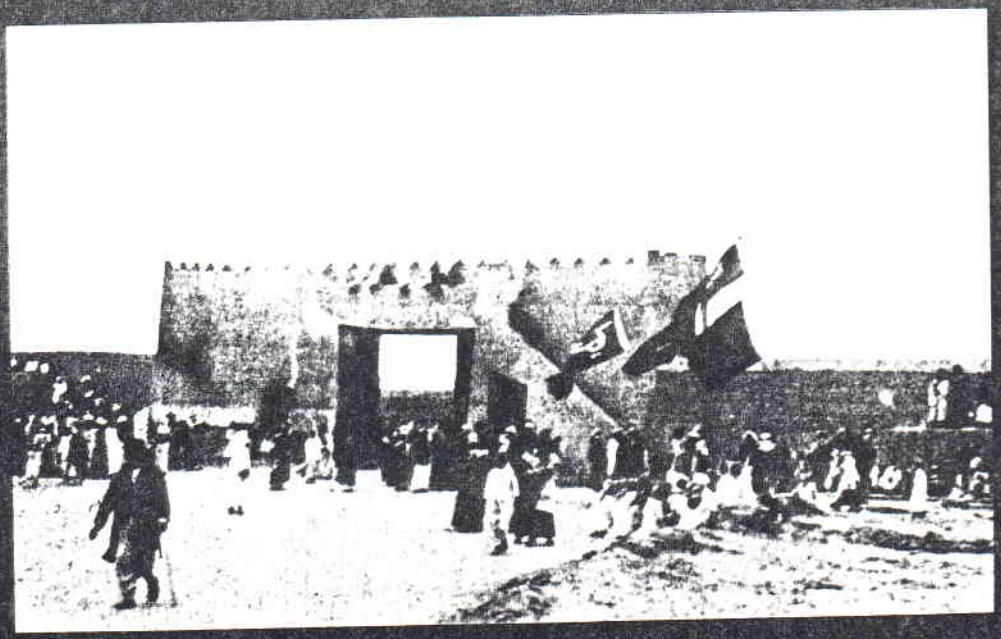

الدكتور أحمد مصطفى أبو حاكمة

الصحراء • وبقى شأنه كذلك حتى مطلع القرن العشرين • اما السبب في بناء ذلك السور ، فقد عللته الروايات المحلية بانه اقيم لدرء خطر القبائل المجاورة للمدينة بعد أن أخذ نفوذ بني خالد في الانهيار التدريجي • ولهذا فعلى الرغم من أن تاريخا لبناء ذلك السور لم يرد له ذكر في الرواية المحلية ، فاننا يمكننا أن نؤ رخه بحكم صباح ، لان عهد ذلك الحاكم كان هو الزمن الذي بدأ فيه حكم بني خالد في التضعضع • وتفيد سجلات شركة الهند الشرقية بأن المدينة كانت مسورة في العقد الثامن من القرن الثامن عشر (١) •

نظام الحكم

لقد ادى ضعف الدفاع عن المدينة الى تخويل شيخها صباح سلطات واسعة • وتفيد الرواية المحلية أن صباح قد اختير من لدن الاسر العتبية المختلفة للنظر في شئون المدينة وسكانها ، وعلى هذا فان حكمه لم يكن مطلقا بالقدر الذي كنا نتوقعه من شيخ عربي يحكم مدينة او قبيلة • ومرد هذا يرجع الى ان العتوب كانوا منذ نزولهم الكويت تجارا مستقرين ولم يكونوا بدوا متنقلين ، وكانوا قد مروا بعهد التنقل والبداوة ، وهم في طريق رحلتهم من نجد الى قطر في ابان القرن السابع عشر • ولذا وجدنا انه على الرغم من ان سلطة شيوخ العرب في تلك الآونة من تاريخ الجزيرة كانت مطلقة فان سلطة شيخ الكويت لم تكن كذلك ، فهو يستشير قومه في كل ما يخص بلدته ، لا سيما أمورها التجارية (٢) •

ولعلنا نجد في لجوء الكثير من تجار البصرة الى الكويت ، حين هاجم الفرس البصرة عام ١٧٧٥ ، بقصد ممارسة نشاطهم التجاري فيها ، ما يعزز ما ذهبنا اليه من المركز الممتاز الذي كان يتبوأه تجار الكويت في مجتمعها •

---

(١) Factory Records , Vol . 17 , Dispatch No . 1152

(٢) القناعي ، ١٤

وصف الكويت

ويبدو أن هذه الاسر ، قد نزلت بحي من المدينة صار يعرف باسمها ، وكان يعرف كذلك بالجهة او الاتجاه • ونزول كل جماعة أو قبيلة بحي أمر مألوف في الامصار العربية منذ الفتوح الاسلامية الاولى • وهكذا كانت المدينة مقسمة الى « حي شرق » و « قبلة » وهو الغرب بالنسبة للاتجاهات الاربعة لأن ذلك الحي يشير الى اتجاه مكة ثم « الوسط » • وفي الحي الاخير كان ينزل آل صباح ، الذين آل اليهم الحكم في المدينة (١) •

سور المدينة

وكانت مدينة الكويت مسورة في النصف الثاني من القرن الثامن عشر ، غير أنه يبدو أن ذلك السور لم يدع لوجوده داع عند نشأة المدينة في مطلع القرن ، لا سيما وان نفوذ حماتها بني خالد كان قويا في تلك الآونة ، وكان كافيا لردع أية محاولة للهجوم على المدينة الناشئة • والرواية المحلية تفيد أن المدينة لم تكن مسورة في بداية عهدها ، وكما هو معروف عن الرواية المحلية من اهمال ذكر التواريخ ، لا تذكر الرواية شيئا عن التاريخ الذي سورت فيه المدينة لأول مرة • غير أننا نستطيع أن نحدد ذلك بالفترة التي بدأ فيها نفوذ حماتها من بني خالد يضعف اثر التنافس بين شيوخ تلك القبيلة على الحكم • وعلى هذا يمكننا ان نؤ رخ بناء سور الكويت على وجه التقريب بحوالي ١٧٦٠ ، أي بعد نحو ثمانية أعوام من وفاة سليمان بن محمد آل حميد ، حاكم بني خالد ، وعندما بدا للعيان أن نفوذ تلك القبيلة على شرق الجزيرة قد بدأ يتزعزع • وكان السور مبنيا من الطين مما جعله عرضه للانهيار أثر نزول الامطار الغزيرة • وسور من طين كهذا لم يكن بمقدوره درء خطر قوي قد يدهم المدينة ، غير أنه كان كافيا لوقايتها من هجمات بدو

(١) صفحات من تاريخ الكويت ، ٦٧ و362 . Bombay Selectios الرشيد ، المجلد الأول ، ١٨

منظر لبوابة في سور مدينة الكويت

بناء نهضتها في مختلف الميادين لا سيما التعليم والصحة (١) • بل قيل لي ان اول ما قرره احمد الجابر بعد ان تسلم الدفعة الاولى من ايراد النفط ، انما انفقت على بداية التعليم للبنات •

كذلك يدرك الدارس الفاحص لحكم احمد الجابر بعد نظره السياسي ، وعناده في الحق • وقد وضحنا ذلك في علاقاته بسلطان نجد عبدالعزيز ال سعود في بداية عهده بالحكم في الكويت ، ثم بعد ذلك حين صار ملكا للعربية السعودية •

وبعد تزايد الاموال بسبب تدفق النفط ، وبداية تزايد سكان مدينة الكويت وقراها بدأ احمد الجابر في العناية بالشئون البلدية ، وتحلية مياه الشرب ، والكهرباء • ثم زاد الاهتمام بالشئون الصحية • وكل هذه امور تولاها من بعده خليفته الشيخ عبدالله السالم ، الذي كان من اقرب المقربين اليه •

وخلاصة القول في حكم احمد الجابر للكويت انه قاوم المحاولات التي قام بها الطامعون في الكويت بقصد ضمها الى ملكهم • ولم يقف عند ذلك الحد ، بل انه جعل الكويت دولة لا امارة • وقد اشار الى ذلك في خطابه ، حين الاحتفال باسالة النفط في انابيبه يوم ٣٠ يونيو عام ١٩٤٦ • ولئن كانت الكويت غير مستعدة في عهده للمضي في طريق الديموقراطية الحديثة ، فان الحركة الدستورية ظهرت بشائرها في عهده ، وتابعها من بعده الشيخ عبدالله السالم ، في عهد

---

(١) هذا هو الانطباع الذي خرجت به من مقابلة عقدتها مع السيدة Mary Von Blarcom أو الآنسة Mary Van Pelt (الخاتون مريم) ، التي عملت رئيسة للهيئة التمريضية الامريكية في الفترة ما بين ١٩١٩ و ١٩٤١ في الكويت . كان لقائي معها في اعوام ١٩٧٧ و ١٩٧٨ في منزلها في ولاية كارولاينا الشمالية بقرب مدينة هندرسنفيل Hendersonville وعمرها الآن (١٩٧٩) ثمانون سنة .

ولعل من اكثر الممرضات والهيئة الطبية الامريكية غزارة في المعلومات عن الفترة التي قضتها في جزيرة العرب هي الآنسة كورنيليا دالنبرغ او شريفة دالنبرغ ، كما تحب أن تسمى . وقد مكثت عاملة في البحرين ومسقط ما بين ١٩٢١ و ١٩٦١ ، وعمرها الآن تسع وثمانون سنة . ومن أجل الحقيقة والتاريخ أحب أن أقرر أنها كانت غاية في السخاء في معلوماتها عن تاريخ المنطقة (شرقي الجزيرة العربية) ، وهي تقيم حاليا في مدينة قريبة من شيكاغو بأمريكا .

عانت منه البلاد ، أشد المعاناة منذ عام ١٩٢٣ ، وحتى لحظة اكتشاف النفط . وكذلك لابد من أن نشير الى أن الكويت لم تستفد مبكرا من نفطها بالنظر لاندلاع الحرب العالمية الثانية ، التي استمرت قائمة حتى عام ١٩٤٥ . الا أن عائدات النفط أخذت تتدفق على الكويت بعد أن احتفلت الكويت باسالة النفط وبداية تصديره في العام اللاحق ، وذلك في ٣٠ يونيو عام ١٩٤٦ . ومنذ ذلك التاريخ بدأ وجه الكويت في التغير السريع ، اذ سرعان ما استغل الشيخ احمد الجابر هذه الثروة في بناء نهضة البلاد التعليمية والصحية ، وهي نهضة كان يحرص عليها ، حتى قبل العثور على النفط . وهنا لابد من أن نذكر أن دخل الكويت من النفط في ذلك العام لم يكن عظيما ، اذ أنه لم يزد عن مائتين وثمانين ألف جنيه استرليني .

وبالطبع أخذ هذا الرقم في الارتفاع خلال السنوات الباقية من حكم الشيخ احمد الجابر ، حتى بلغ أربعة ملايين من الجنيهات عام ١٩٥٠ . ولعلنا نذكر هنا أن الشيخ احمد الجابر قد عهد لابن عمه الشيخ عبدالله السالم بادراة نواحي عديدة من شئون البلاد وكان التوفيق حليف الشيخ عبدالله السالم فيما كلف به .

وليس ادل على ذلك مما صار اليه حال الكويت في عهد الشيخ عبدالله السالم ، حين تولى مقاليد الحكم بعد وفاة الشيخ احمد ٠ وقبل ان نتعرض في ايجاز لفترة حكم الشيخ عبدالله السالم ، التي امتدت من عام ١٩٥٠ الى عام ١٩٦٥ ، لا بد من ان نعرج على اوضاع الكويت الداخلية ، وما احدثه فيها الشيخ احمد الجابر من تغيير ٠

ان حكم احمد الجابر في الكويت قد شهد مر الحياة في اوله وحلوها في اخره ٠ ونحن لا نقصد بذلك المر العسر المادي ، بل الضغط السياسي الشديد ، ليس من قبل الانجليز فحسب ، ولكن من قبل جيرانه العرب ٠ وقد حدثني من عاصره في الكويت من الاجانب منذ توليه الحكم عام ١٩٢١ ، وحتى بداية تدفق النفط ، بما تحلى به الشيخ احمد من صفات حب بلده ، والاخلاص لها ، وكيف انه كان طوال تلك الفترة يتوق لليوم الذي يرى فيه انتعاش الكويت ماديا حتى يساهم في

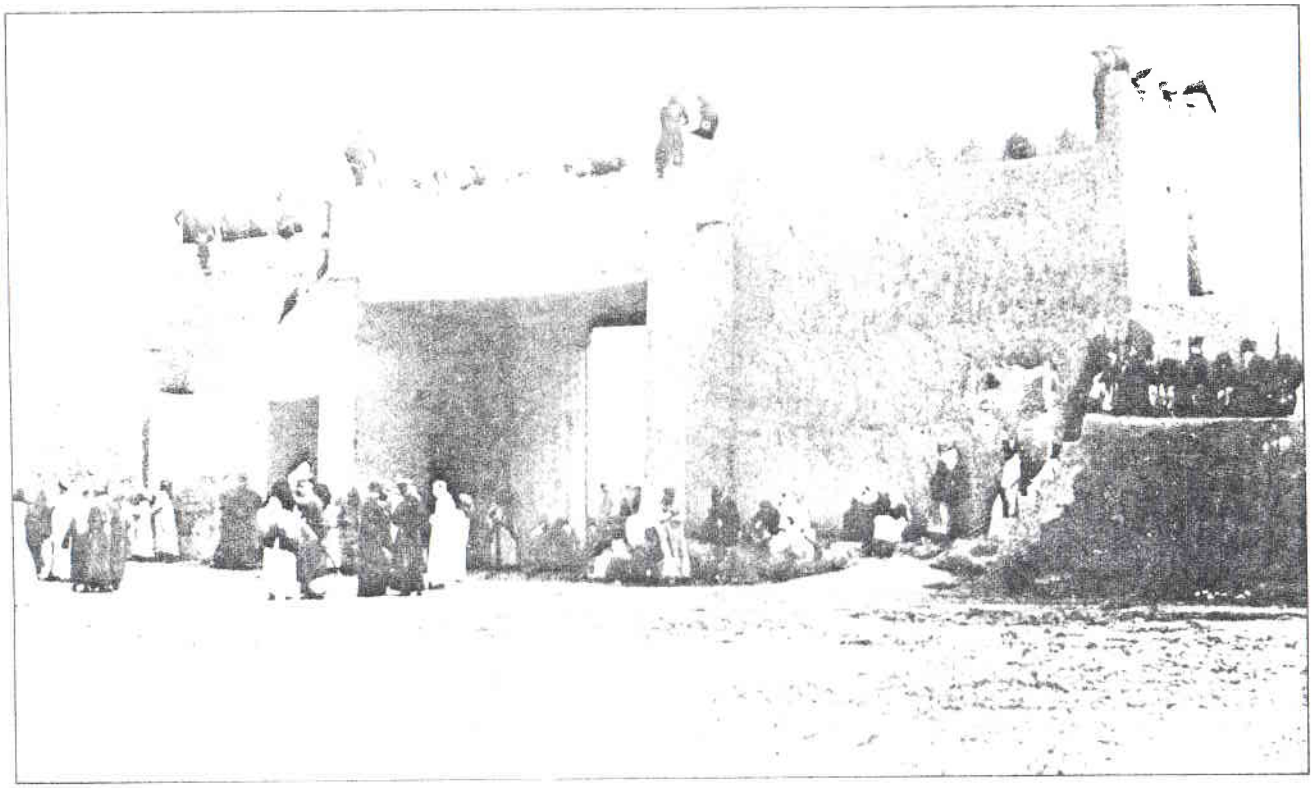

منظر لبوابة فى الكويت ١٩٢٨